

دعائم النصر.. من تراث الإمام الشهيد حسن البنا



الاثنين 23 ديسمبر 2019 م 11:10

هناك كلمات تظل رغم تباعد الزمان ذات صدى طيب، فتنفذ إلى أعماق الواقع وتعالج عللها.. ومنها الكلمات التي خطّها الشيخ حسن البنا -يرحمه الله- قبل نحو سبعة عقود، والتي تمثل نموذجاً على ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا آتَيْتُمْ فِتْنَةً فَأَتْبِعُوهَا وَإِذْ كُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطْبِعُوهَا وَلَا تَنَازِعُوهَا فَتَفْشِلُوهَا وَتَذَهَّبُ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوهَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاهُ النَّاسُ وَيَضْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُحِيطَ﴾ (الأنفال - 47:45).

أيها العرب والمسلمون..

اسمعوا وتدبروا واعتبروا، وصدق الله العظيم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾ (القمر: 17)، وإن آيات الكتاب الكريم في صدقها وأحقيتها لأنّ ثبت من المعادلات الرياضية التي لا تختلف نتائجها ولا تضرّ بطراب أرقامها.. ﴿وَمَنْ أَضْدَقَ مِنَ اللَّهِ قِيلَ﴾ (النساء: 122)، وهذه هي قواعد النصر السست في هذه الآيات الكريمة:

1- الثبات

فإن المؤمن لا يتزعزع ولا يتربّد ولا يهون ولا يضعف أبداً، لأنّه لا ينتظر إلا إحدى الحسينيين- الشهادة أو النصر- ولا يتوقع إلا ما كتب الله له، ولو أنّ أهل الأرض جمِيعاً اجتمعوا على أن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضرّوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وإنّه ماجزٌ على ما يلقى من ذلك، وأشد ما يحرص عليه الناس آجالهم وأرزاقهم، وأشد ما يدعوه إلى التردد والضعف الخوف على هذه الأعمار أن تقصر بالموت، والخشية على هذه الأرزاق أن تنقص بالنفقة، والمؤمن واثق تمام الثقة أن الأجل والرّزق بيد الله وحده، لا سلطان عليهمما لأحد غيره، ففي التردد والخوف والضعف والوهن؟!

إن المؤمن ثابت لا يلين، قوي لا يضعف.. وكثيراً ما كان الفرق بين الهزيمة والنصر ساعةً من الثبات.. ﴿وَكَانُوا مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَضَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146).

2- وذكر الله تبارك وتعالى

وهو أمان الخائفين، وأمل اللاجئين، والمؤمن يعلم تمام العلم ويوقن بأعمق اليقين بأن قدرة الله أعظم القدر، وأن قوة الله أجل القوى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21)، فإذا أحاطت به عوامل الآيس، وهتفت به هواتف الهزيمة من كل مكان، وأحدقت به قوى الأعداء من كل جانب، ذكر صادقاً أن وراء ذلك كله قوة القوي القدير العلي الكبير، الذي له السموات والأرض، ومن فيهما جميعاً عباده، بيده ملوكوت كل شيء، وهو على كل شيء قادر، له مقايد السموات والأرض ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رِبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: 31) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82).

فماذا عسى أن ينال من نفسه تهويل المهوّلين، أو قوة المتكاثرين؟! لا شيء أبداً ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: 173).

فلا قتال إلا لغاية، ولا عمل إلا في حدود، وإذا كانت الغاية مرضاة الله ورسوله، وإذا كانت الحدود حدود الله ورسوله، وما وضع العليم الخبير لعباده من نظم ومناهج وأحكام وقواعد، تبصّرهم بالخير وتأمرهم به، وتحذرهم من الشر وتنهاهم عنه، كانت تلك ولا شك أ Nigel الغايات وأشرف المقاصد، يهون في سبيلها البذل ويطيب من أجلها الكفاح ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا إِنَّ الْشَّيْطَانَ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 76).

4- الوحدة والإباء

في العاطفة والقيادة والجنديّة، والقول والعمل، والشعور والروح، والمقصد والغاية، الوحدة في كل شيء هي أساس القوّة وملك العزة، وما تفرق قوم إلا ضعفوا، وما اختلف نفر إلا ذلوا، والوحدة صمام الإيمان، والتفرقة معنى من معاني الكفر ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10).

5- الصبر

وهو أصل الثبات، فلا ثبات إلا للصابرين، والثبات مظهر وعمل، والصابرون يوفّون أجراً لهم بغير حساب، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالمثوبة والأجر ﴿وَبَشَّرَ الرَّحَمَانُ﴾ (البقرة: 155) ﴿وَاسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّالِحِ﴾ (البقرة: 45). ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِمَا أَمْرَنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقَنُونَ﴾ (السجدة: 24).

6- تصحيح النية وطهارة المقصود

فلا يكون الغرض عدواً على أحد، أو إبطال الحق أو إحقاقاً لباطل، أو تهجمًا على آمنين أو اغتصاباً لآخرين، بل يكون دفاعاً مشروعًا أو نجدةً لمظلوم أو حمايةً للمُلْئَمِ العُلَيْاً أن تنتهي حرمتها، ولقواعد العدالة والإنصاف أن تنهي بفعل المطامع والشهوات ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُحِيطَهُ﴾ (الأనفال: 47).

أيها العرب والمسلمون..

في هذا الوقت العصيب الذي تدفقت فيه عليكم قوى الشر من كل مكان، فتالّب الشرك بقُبْضِه وقضيّيه عليكم في الهند، وتألّبت اليهودية العالمية بعددها وعددها عليكم في فلسطين، ووقفت دول الاستعمار (الاحتلال) الbagية المخادعة ترمق المعركة لتقسيم الأسلوب، وتلقي في النار بالوقود لتزداد اشتعالاً حتى تأتي على الأخضر واليابس، وأربتم مصداق قول الله- تبارك وتعالى:- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82).

في هذا الوقت أيها العرب والمسلمون يجب ألا تيأسوا ولا تهنووا ولا تحزنوا، فقد وعدكم الله النصر، ولا شك في موعوده متى عرفتم قواعده، وأقمتم دعائمه، وأخذتم في أسبابه، وعرفتم كيف تتحققون هذه الأمور الستة: الثبات.. وذكر الله.. وطاعة الله ورسوله.. والوحدة.. والصبر.. ونبيل المقصود.

والله معكم، ومن كان الله معه فلن يُغلب أبداً.. والله أكبر والله الحمد.

* نُشر هذا المقال في جريدة الإخوان اليومية- السنة الثالثة- العدد 700- في 8 شوال 1367 هـ 13 أغسطس 1948م.

